

التمثيلات الاجتماعية للأطفال حول طلاق الوالدين: دراسة نفسو-أنثروبولوجية Children's Social Representations of Parental Divorce: A Psycho-Anthropological Study

أسامة مجاهدي^{1*}، أمينة لصار²، بدرة معتصم-ميموني³

¹المركز الجامعي مغنية (الجزائر)، o.medjahdi@cu-maghnia.dz

²جامعة أحمد بن أحمد وهران 2 (الجزائر)، lassar.amina@univ-oran2.dz

³جامعة أحمد بن أحمد وهران 2 (الجزائر)، b_mimouni@yahoo.fr

تاريخ الاستلام : 2026/05/15 ؛ تاريخ القبول : 2026/09/27

ملخص : تأتي هذه الدراسة على خلفية الإحصائيات المرتفعة في الجزائر لنسب الطلاق وفكّ الرابطة الزوجية بأشكالها المتنوعة، فانفصال الأبناء عن أحد الوالدين يترتب عنه تفريق وحرمان وآلام وصراعات يفرضها الواقع الجديد الذي يمكن أن يربك النسق العائلي كلّ، ناهيك عن الوصم الاجتماعي الذي يلحق بالمطلقة، أو الزوج المخلوع وأبنائهما...

نهدف من خلال هذا العرض إلى الكشف عن تمثيلات الأبناء في ظلّ هذا المعاش لا سيما مع التغيرات الكبيرة التي تمسّ الجانب المادي والمعنوي.

اعتمدنا على المنهج النوعي بمقاربة أنثروبولوجية تحليلية، انطلاقاً من إجراء مقابلات مع مبحوثي الدراسة، حيث كان الاختيار قصدياً، مع التركيز على أثر الفترة الزمنية للطلاق باختلاف مدّتها: "فترة طلاق قصيرة" و"فترة طلاق طويلة".

حيث أوضحت النتائج أنّ للأبناء صراع نفسي خاص بوضعية الانفصال، وقد ظهر ذلك من خلال تناقضات وجدانية، تبيّنت أعراضها من جهة، في الإحساس بالإحراج والخجل مع إنكار حالة الطلاق في بعض الحالات، ورفض الواقع المحتوم خوفاً من الوصم، خصوصاً مع أقرانهم، ومن جهة أخرى الاعتزاز بالطلاق بتوظيف عدّة آليات دفاعية.

الكلمات المفتاحية: الطلاق ؛ أبناء المطلقين ؛ الصراع ؛ التمثيلات ؛ الوصم.

Abstract: Our study provides statistics showing the high rate of divorce in recent years, regardless of its diverse form the result remains the same; as it leads to the separation of the parents, and consequently the separation of the children from one of the parents.

Our objective is to highlight the representations that children have on the divorce of their parents. And their involvement in the conflicts imposed on them by this new reality that weighs on them, and in particular the stigma they and their mothers may face.

Our study aims to reveal the representations that children have of this situation through a qualitative approach based on interviews using an interview guide. The results of the study show that: the children seemed embarrassed and shy, sometimes denying the

divorce of their parents, especially with their peers, and emotional ambivalence emerged as defence mechanics.

Keywords : Divorce; Children of divorced parents; Conflict; Representations; Stigma.

* أسامة مجاهدي

1- مقدمة

يمثل انفصال الوالدين واقعا أليما في كثير من الحالات ، لما يخلّفه من تأثير يمسّ الجانب المادي والمعنوي، ويبدو تأثير الطلاق على الحياة النفسيّة للأطفال كبيرا، كونه تجربة صعبة، ترتبط مباشرة بالواقع النفسي والاجتماعي والمدرسي والسلوكي حسب كلود مارتان (Claude Martin, 2015)، وهذا ما يحملهم حتما لتكوين تمثّلات خاصّة بوضعيتهم هذه، وعليه نهدف من خلال هذه المساهمة إلى تقديم قراءة لتمثّلات أبناء المطلقين حول تلك الوضعيّة.

تبرز أهميّة هذه الدّراسة في الاهتمام عن كتب بأبناء المطلقين، لتوضيح أثر صورة التفكّك الأسري من خلال البحث في تمثّلاتهم، اعتمادا على المنهج التحليلي الأنثروبولوجي، الذي يقوم بتحليل وتفسير المعطيات المعاشة، وترجمة التعابير الخاصة للسلوكيات الناجمة عن هذا التفكّك في أبعاده النفسيّة، الاجتماعية والثقافية، وذلك من خلال عرض حالات لأبناء عاشوا تجربة طلاق آباءهم.

وفي سعيها لفهم الظاهرة وما يترتب عنها من نتائج على تمثّلات الأبناء ومن خلال البحث عن الدراسات السابقة التي كانت شحيحة وغير مباشرة، نجد دراسة في ايطار بحث لانجاز مذكرة ماستر من قبل الطالبتان مولاي لامية ومولاي كنزة (2014/2015)، أين تم استكشاف تمثّلات الوالدين المطلقين للأطفال الذين يعانون من تأثيرات الطلاق، أين تم تجميع البيانات من جمعية مسؤولة عن رعاية الأطفال الناجين من الطلاق في مدينة أكيو. وتم اختيار مجموعة من أربعة أطفال للمشاركة في الدراسة، وتم تقييم تمثّلاتهم باستخدام تقنيات عيادية مثل المراقبة شبه المباشرة واختبار TAT. حيث أظهرت الدراسة تباينا في صفات تمثّلات الوالدين بين ا أطفال مع تأكيد تأثيرات الطلاق على هذه التمثّلات، ويشير البحث أيضا إلى تحديات تواجه الآباء في فهم مشاعر أطفالهم خلال فترة الانفصال. (Moulai, L., & Moulaoui, K, 2014/2015)

وفي دراسة أخرى نشرت في مقال للوشاحي فريدة (2015) حيث تشير إلى أن الطلاق يمثل تحديات كبيرة للعائلة، بينما تكون تأثيراته أكبر على الأطفال. ويُسلط التنبؤ بالعلاقة الثلاثية بين الأطفال والوالدين، مشيرًا إلى أهمية تواجد الأبوين في تكوين شخصية الأطفال. يُظهر المقال أن تأثيرات الطلاق تمتد إلى مسار حياة الأطفال إلى الرشد، مع تأثير نفسي واجتماعي يحدث نتيجة إحساسه بالعار. فيبرز المقال أيضا التحديات التي يواجهها الأطفال جراء الطلاق، مما يجعلهم عرضة للمشاكل النفسية والاجتماعية. لهذا يؤكد المقال أهمية تقديم الدعم للأفراد والعائلات المتأثرة بالطلاق. (لوشاحي فريدة، 2015، 41-48)

يتناول مقال لبخماس يمينة ولطيفة زروالي (2020) تأثير الجو العائلي لأطفال المنفصل والديهم على التسبب في الاكتئاب الارتكاسي في سن التمدرس. استخدمت الدراسة المقابلة العيادية واختبار تفهم العائلة، حيث أظهرت النتائج وجود اختلال في توظيف الأدوار العائلية وصراعات غير محلولة داخل العائلة، مما

يزيد من ضغوط الطفل. كما أشارت الدراسة إلى حدوث تأثير صدمي لطلاق الوالدين، حيث ظهرت علامات القلق والاكتئاب. يؤكد المقال على أهمية فهم ودعم الأطفال المتأثرين لمواجهة التحديات الناتجة عن هذه التجارب الصعبة في حياتهم وتصحيح التنبؤ السلبي والأفكار المشككة حول الانفصال. (بلخماس ي، زروالي ل، 2020، 168-178)

فالتصورات تختلف من مجتمع إلى آخر في رؤيتها لظاهرة الطلاق بينما يُنظر إليها بسلبية أو فشل في المجتمع الجزائري بما في ذلك الأطفال الذين تكون وطأة الانفصال أكبر فتمس في أغلب الأحيان العدم إشباع عاطفي واقتصادي والدخول في دوامات الصراعات المتعددة بسبب الخلافات أثناء الطلاق وبعده، فهذا يحرم الطفل نمو السليم والطبيعي. (كسال مسعودة، 2021، 426-427)

بعد إطلاعنا على ثلة من الدراسات في مجال تأثر الفرد بانفصال والديه والتي تشير إلى الضرر السلبي الذي ينتج عن هذا الطلاق الذي يكون مصحوبا بصراعات في النسق الأسري والتي تخلق جو سام داخل المنزل الذي ينتهي بالطلاق بينما تبقى تبعاته تطارد أفكار الأطفال الذين لم يهيؤوا لمثل هذه الظروف التي تصبح تجربة هامة في تشكل واقعهم ومستقبلهم، لهذا سيعالج المقال إشكالية : ما هي اختلافات تأثير الطلاق على التمثلات النفسية والاجتماعية لأبناء المطلقين بين فترة طلاق قصيرة وفترة طلاق طويلة؟ تم اختيار المبحثين بطريقة قصدية لكون الموصفات التي يتصفون بها تخدم الدراسة، واستخدمنا في هذه الدراسة دمجا بين المنهج الإكلينيكي الوصفي (Descriptive Clinical Approach) الذي يصف الظاهرة كما يراها الباحث أثناء الاحتكاك بالأطفال الذين انفصل والديهم كشف الأعراض ثم تحليلها باستخدام المقابلة العيادية واستخدمنا أيضا المنهج التحليلي الأنثروبولوجي (Analytical Anthropology) الذي يركز على فهم الظاهرة من خلال التنوع الثقافي والاجتماعي ثم التحليل العميق والتفصيلي للظاهرة. حيث يقوم هذا المنهج على السياق الاجتماعي والتفاعلات بين العلاقات لعملية الفهم. وتكمن أهمية هذه الدراسة في الاهتمام عن كثر بأبناء المطلقين لتوضيح صورة التفكك العائلي جراء الطلاق حيث تساعد على كشف ما يلي:

- معرفة محتوى التمثلات من منظور أبناء الآباء المطلقين مباشرة بعد طلاق أبويهما.
- تسليط الضوء على أبناء الآباء المطلقين للتقرب من معاناتهم النفسية جراء الطلاق.
- التأكيد على التكفل النفسي والمعنوي لأبناء الآباء المطلقين.

2 - الإطار المفاهيمي للدراسة:

انطلاقاً مما أثبتته ارتفاع الأرقام المتزايد للطلاق بالجزائر المبينة على الجدول التابع لمصلحة وزارة العدل، خلال الفترة الممتدة بين سنة 2016 إلى غاية سنة 2020، ما يسمح لنا بتسميته "بظاهرة" تستدعي النظر البحثي، ليس بالنسبة لارتفاع الإحصائيات في حد ذاتها وإنما في العلاقة الطردية لارتفاع عدد أبناء المطلقين في مقابل مسؤولية وقدرة التكفل بهم، وهذا في خضم اختلاف أشكال الطلاق، إلا أنّ النتيجة تبقى واحدة وهي فكّ الرابطة الزوجية. بفكّ لهذه الرابطة الهامة ثقافياً، التي تؤدي للانفصال، ليس

انفصال الزوجين عن بعضهما البعض فحسب، بل انفصال الأبناء عن أحد والديهما أو كلاهما، هذا يعني بداية الحرمان من الحضانة التي تعتبر "رعاية الولد وتعليمه والقيام بتربيته على دين أبيه والسهر على حمايته وحفظه صحة وخلقاً". (قانون الأسرة، 2005، ص 15) كضرورة قانونية.

الجدول (01): يبين تعداد وأشكال فك الرابطة الزوجية

السنوات	أشكال فك الرابطة الزوجية				المجموع
	الطلاق بالإرادة المنفردة	الطلاق بالتراضي	الخلع	التطليق	
2016	29802	16342	11661	4323	62128
2017	31515	17546	12528	4048	65637
2018	30733	17147	13713	4101	65694
2019	30838	16777	13976	4316	65967
2020	30460	16028	15275	5028	66791

المصدر : الديوان الوطني للإحصاء

يبين الجدول أن الطلاق ارتفع تدريجياً خلال الخمس سنوات 2016-2020

1.2- الطلاق في القانون الجزائري: سنّ المشرع الجزائري قوانين الطلاق واستتبّط ذلك من الشريعة الإسلامية، مع بعض الاجتهادات الخاصة حسب الحالات التي يتخذها القاضي عند الحكم بالطلاق حسب المادة 48 من القانون 84-11 المتضمن قانون الأسرة مع مراعاة أحكام المادة 49 من نفس القانون التي تنص على ما يلي: "يحل عقد الزواج بالطلاق الذي يتم بإرادة الزوج أو بتراضي الزوجين أو بطلب من الزوجة في حدود ما ورد في المادتين 53 (يجوز للزوجة أن تطلب التطليق...) و54 (يجوز للزوجة دون موافقة الزوج أن تخلع نفسها بمقابل مالي) من هذا القانون: الأمر 05-02 المعدل والمتمم للقانون 84-11 (قانون الأسرة. 2005. من الطبعة 2018-2019، 12-13-14).

وعليه يبقى للطلاق عدّة أشكال تؤدي كلّها إلى فكّ الرابطة الزوجية، وهي:

- طلاق: من قبل الزوج، حيث تكون العصمة بيده، أي له الحق المطلق بإيقاعه.
- طلاق بتراضي الطرفين: اتفاق الزوجين على فكّ الرابطة الزوجية وبه يتمّ الطلاق.
- تطليق: إذ من حقّ الزوجة طلب التطليق لأسباب حصرها القانون المنوه عنه أعلاه في مادته 53، ومن بين الأسباب المذكورة: عدم إمكانية الاستمرار مع ولكنّه في المقابل يلزمها بالتخلي عن حقوقها في النفقة وتوفير المسكن، في حين أنّه يكفل لها حقّ حضانة الأبناء، ويخوّل للقاضي النظر في الأمر (المرجع السابق، ص. 43-47).

- الخلع: ويكون من حقّ الزوجة فكّ الرابطة الزوجية مقابل مبلغ مالي تسلمه للزوج.

2.2- أثار الطلاق "فرض واقع جديد": رغم ما نصّت عليه وأجازته الشريعة الإسلامية في مثل هذه الحالات، إضافة إلى الدور الذي لعبه المشرع الجزائري في وضع وسنّ قوانين خاصّة، تنظّم حالات

الطلاق باعتباره حق للزوجين، مع الحرص على إيجاد حلول لما قد يواجهه الأبناء من آثار سلبية، وذلك عن طريق الاجتهاد قصد حماية حقوقهم، ومع ذلك فإنّ هذه الجهود لا تستطيع منع وقوع آلام معنوية يتحملها الأبناء جرّاء وقوع الطلاق، والذي يؤدي إلى حتمية الانفصال عن أحد الآباء أو كليهما، إضافة إلى وجود حالات يتم فيها التخلي عن الأبناء من طرف كلا الوالدين، والذي قد يقع بحكم قضائي (بن زين هـ. وعاقف د ، 2022)، ممّا يزيد من آلام الأبناء، وإن كانت حالات قليلة إلا أنها موجودة.

في هذا الطّرح سنركّز على حالة انفصال الأبناء عن أحد الوالدين، خصوصا الأب، من باب أنّ الأولوية في الحضانة عند الطلاق تعود للأم¹، كما يمكن أن تسقط هذه الأولوية لأسباب عديدة يتم الفصل فيها من قبل القضاء، أمّا الفكرة المحورية لدراستنا فتسلّط الصّوء على حالة الأبناء الذين هم تحت رعاية الأم، كون هذا ما يحصل في معظم الأحيان مع حدوث الطلاق، ما يؤدي بالضرورة إلى الانفصال عن الأب، كما أنّ الأم مُجبرة على إخلاء بيت الزوجية والعودة إلى بيت أهلها، وهي وضعية معظم مجوئي هذه الدراسة. هذا ما يمثل في حدّ ذاته تغييرا جذريا في حياة الأبناء، إذ يفرض عليهم تغيير الأماكن والعلاقات ومنها الأقران، أي تغيير أسلوب حياة كاملة بسبب تغيير البيت الأسري.

وبالتالي فرض واقع جديد على الأبناء، يحمل الكثير من التخبّطات والمواجهات وعيش تجارب شائكة ومتشابكة، ابتداءً من الآثار النفسية المؤلمة التي تكون نتيجة افتقاد وفقدان الأب لفترة معينة أو دائمة الأمد، وبذلك يتسبب هذا الواقع الجديد الذي يحمل في طياته عدّة تغيرات في العادات في خلق ما نسمّيه "بارتجاج الخليّة الأسرية" في عمق نظامها، وبتصدّع وظيفتها الأساسية، وهي الاحتواء الذي يضمن نموّا نفسيا انفعاليا "سليما" للأبناء، ما ينتج عنه هوة تحدث بسبب عدم التشبّع من الحاجيات الوجدانية والمادية الوالدية. بالإضافة إلى الأفكار التي يحملها المجتمع اتجاه الطلاق ومخلفاته، ومنها بالوصم (شرقي، 2018، 177-178) فللمجتمع نظرة سلبية من شأنها إيذاء العائلة وبالأخص الأم، وأيضا أطفالها الذين يفتقرون إلى النضج العاطفي، أي أنّهم لا يزالون في مرحلة ضعف الصّلاية النفسية التي قد تساعدهم على تحمّل الإحباط، وتجعلهم يتكيفون مع الوضع الجديد المفروض.

3.2- التمثلات الاجتماعية والفقدان: يواجه الأبناء آثارا نفسية واجتماعية ووجدانية في حالة التفرّق عند فقدانهم أحد والديهم بشكل دائم، وكذلك بيته، أقرانه، وفي أغلب الحالات مدرسته ومعلميه...، كون آثار التفرّق معروفة منذ "شبيتز" و"بولي" (Moutassem-Mimouni, 1976, 1978 ; Boucebc, 1976, 1978 ; Bourreau-Dubois, C, 1999, etc. 2001, 2018)، كما تشير الدراسات عموما، ومن بينها دراسة (et Doriat-Duban, M, 2016) إلى أنّ الطلاق يتسبب في تدنّي المستوى الاقتصادي والمعيشي للأم وأطفالها. وهذا المشكل يزيد تعقيدا عندما يرفض الوالد دفع النفقة، إلى درجة أنّ القانون الجزائري قرّر خلق

1تنص المادة 64 (الأمر رقم 05-02 المؤرخ في 27 فبراير 2005) من قانون الأسرة الذي يمنح الأولوية للأم في الحضانة (قانون الأسرة، 2018، ص. 59). وهناك بعض البلاد العربية التي أعطت المرأة الحق في العصمة، إذا كانت قد اشترطت في عقد الزواج أن تكون عصمتها بيدها، وهناك طلاق يوقعه القاضي بسبب إفسار الزوج أو اتقاء الضرر والضرار (أبو زيد، 2003، ص. 256).

"صندوق النفقة" (بموجب القانون 15-01) لصالح الأمهات المطلقات وأطفالهن، وكلّ هذه التغيرات تستلزم من الطفل تغيير نظريته لنفسه ولظروفه الجديدة، أي تكوين تمثّلات خاصة.

للمثّلات أهمية تكمن في تنظيم العالم من حولنا، فكيف يتمّ تشكّل هذه التمثّلات لدى الأبناء، والخاصة بالواقع الجديد المفروض والمنتج من قبل المحيط الاجتماعي؟ كون هذه التمثّلات تعتبر اجتماعية، وفي نفس الوقت خاصة بالفرد ذاته، فهي مرتبطة بالبُعد النفسي والاجتماعي، أي تخصّ كلفة الفرد الثقافية التي تربط الفرد بعادات وأعراف الجماعة، ويمكن أن نوضح ذلك من خلال ما قدّمه موسكوفيتشي (Moscovici, 1984) عن حالات الدراسة التي تناول فيها تمثّلات الأفراد الفرنسيين، إذ اعتبر التمثّل نسقا من القيم والمفاهيم والسلوكيات المرتبطة بسمات ومواضيع، يحدّد معالمها الوسط الاجتماعي، فهي معرفة أساسية، تساعد الفرد على معرفة محيطه وجعله "مفهوماً" بالنسبة له، بمعنى، وظيفة هذه التمثّلات الأساسية هي تفسير الواقع المحيط بنا من خلال توظيف العلاقات الرمزية [...] وتتمّ هذه الوظيفة المكونة للعالم الخارجي من خلال سيرورتين أساسيتين محددتين لخصوصيات التمثّلات الاجتماعية وهما: الموضوعية "Objectivation" والإرساء "Ancrage" (مرحوم، 2013، ص 15). وهذا ما يجعلها تترسّخ في الواقع الاجتماعي والثقافي للفرد، وتعبّر عن الأوضاع الجديدة حسب كوماي (Commaille, 1981) حتى يتمّ استيعابها من قبل هذا الفرد كمستقبل.

بهذا يمكن أن نؤكد عمّا أسماه ا.دوركاييم بتقديم نظريته الشمولية حول التمثّلات، كونه يراها تمثّلات جموعية *Représentation collectives* تخصّ حالة تطوّر المجتمع وتنظيمه السياسي والعقائدي، فهي انعكاس مباشر لذلك النضج على جميع المستويات، حيث يتمّ من خلالها تفسير الظواهر الاجتماعية. كما تؤدي إلى الفهم المتبادل بين الأشخاص لقدرة تأثيرها حتّى على الأفكار الخاصة (Pina, 2005, p.2) وهذا ما وضّحه فرويد مؤسس التحليل النفسي، الذي مكّننا من فهم الآليات الحقيقية لهذه التمثّلات بالخوض في مكنوناتها، حين قارن بين التمثّلات والعاطفة، حيث تكون مرتبطة بحدث فتتحول إلى طاقة جسدية تشكّل عرضا *Symptôme*. هنا تُصبح التمثّلات بحد ذاتها كبتا وتندرج في إطار اللاشعور، من خلال ما يميّزها من تمثّلات لفظية وتمثّلات للأشياء، أي تتحوّل تمثّلات الأشياء إلى تمثّلات لفظية، باعتبار تمثّلات الأشياء تميّز اللاشعور، في حين اللفظية ترتبط بالشعور وهذا يوحي بأن اللاشعور يحتوي تمثّلات بصرية للصور. (Chemama, Vanderersch, 2009, p.502)، هذا ما أكّد عليه Criz حين وصفها بأنّها مختلفة ومتباينة، بحيث يصعب فصل الجانب الوجداني عن الجانب المعرفي (السويسي، 2016، ص. 51)، فحسب ما تمّ سرده نخلص إلى أنّ التمثّلات ما هي إلّا ترجمة للواقع المحسوس.

بناء على ما تمّ عرضه سنبنّي تحليلنا للتصورات والمدرجات الخاصة بتمثّلات أبناء الآباء المطلّقين عن الواقع المعاش النفسي، الناتج عن طلاق آبائهم، مع التساؤل عن كيفية ترجمتها إلى الواقع. وعليه، يمكن القول أنّ هناك معاشا نفسيا قبل الطلاق يختلف عمّا بعده من حيث ما يفرضه الفضاء والعلاقات الجديدة المترتبة عن هذا التغيير، يتمّ حسب تصورات وتمثّلات الأبناء في علاقتهم مع واقع معاشهم النفسي، خصوصا بالنسبة لأقرانهم الذين فرض عليهم تغييرهم بعد طلاق آباءهم، رغم أهمية الأقران في حياة الأبناء، فهم من يحقّقون غلافا نفسيا يحتمي فيه الطفل (Anzieu, 1999) لتحقيق حاجة الانتماء

وإثبات صورة الذات، بفعل آلية أثر المرأة عن طريق الآخر، بحكم قوانين فطرية تساهم في تجاذب الأفراد في خلق الجماعات، مما يرهق الابن عند تغيير أقرانه فيصعب عليها الاندماج الفوري في جماعات جديدة، خوفاً من عدم التقبل، أو السقوط في شباك التتم، فهذه الوضعية كافية لتخلّف أثر الوصم، حيث ذكر كلٌّ من شولز وستيوارت (Angermeyer, Shulze, 2001; Stuart, 2003) أنّ الأشخاص يصفون الآلام النفسية الناتجة عن الوصم على أنّها أكثر ضرراً من تلك التي تنتج عن أي مرض عضوي (GenevièveFortin, 2020, p.12).

ويقصد بكلمة وصم، العلامة المميّزة والفارقة، وكلُّ ظاهرة غريبة تظهر على الجسم البشري، لاسيما تلك الظواهر التي تُعتبر دليلاً على الانحطاط، الانهيار والتفكك (رزوق، 1987، ص. 292)، ويعتبر (جوفمان، 1963) أول من استخدمها في علم الاجتماع، إذ ربط معناها بأخلاق الأشخاص الذين يمارسون سلوكاً غير سوي، من أجل تمييزهم عن غيرهم والتنبية إلى كونهم أشخاصاً منحرفين، وسيّئ الخلق، وذلك بوضع علامات في صورة وشم، حرق أو حفر، على أجساد المجرمين والعبيد والخونة، وأنّ الصّورة تتطلّب من أفراد المجتمع تجنبهم والابتعاد عنهم، خاصّة في الأماكن العامّة (شرقي، 2018، ص. 172)، فنحن نراه كالوصم الذي يمسّ أصحاب الاحتياجات الخاصّة مثلاً، وقد تمّ معالجة هذا الموضوع بطريقة مفصلة من قبل الحبيب النهدي في دراسة أجراها حول مجتمعه، ففي مقال له معنون بـ "الإعاقة والتمثيلات الاجتماعية في المجتمع التونسي"، يطرح علاقة الوصم باندماج هذه الفئة مع محيطها، ومن ثمّ نخلص إلى أنّ الوصم هو من صنّع الجماعات اتجاه أفراد اختلفوا عما تمّ تسطيحه، مما يجعل له أثر مُعاش ومحسوس. وهذا ما يؤدّي بنا إلى القول أنّ تغيير جماعة الرفاق من جهة، ومحاولة خلق التكيف والاندماج مع جماعة جديدة من جهة أخرى، إضافة إلى الفراق مع الأب، في الواقع هو فقدان للمعالم، ما يخلّف حتميّة حدوث إرهاب نفسي للأبناء الذين يعيشون في معاناة على جميع الأصعدة: نفسية، اجتماعية واقتصادية، جرّاء قرار الطلاق، دون مراعاة لقدرة تحملهم لهذا الفراق المتعدّد الأوجه.

3- منهجية الدراسة:

1.3- المنهج المتبع: استخدمنا في هذه الدراسة دمجا بين المنهج الإكلينيكي الوصفي (Descriptive Clinical Approach) الذي يصف الظاهرة كما يراها الباحث أثناء الاحتكاك بالأطفال الذين انفصل والديهم كشف الأعراض ثم تحليلها باستخدام المقابلة العيادية.

واستخدمنا أيضا المنهج التحليلي الأنثروبولوجي (Analytical Anthropology) الذي يركز على فهم الظاهرة من خلال التنوع الثقافي والاجتماعي ثم التحليل العميق والتفصيلي للظاهرة. حيث يقوم هذا المنهج على السياق الاجتماعي والتفاعلات بين العلاقات لعملية الفهم.

2.3- عينة الدراسة: تمّ انتقاء مبعوثي الدراسة بطريقة قصدية بمواصفات تخدم دراستنا، لنحاول من خلاله الكشف عن تمثيلات الأبناء الذين فرض عليهم معاش نفسي جديد، جرّاء طلاق آباءهم، أفراد عيّنة البحث هم أربعة، ثلاث إناث وذكر واحد، انتقلوا جميعهم للعيش مع أمهاتهم بعد الانفصال، وقد أخذنا بعين

الاعتبار فترة ما بعد الطلاق المتباعدة بين المبحوثين، والتي تلعب دوراً مهماً في عملية التكيف لدى الأبناء حسب رأينا، ولذلك فرقنا بين الوضعيتين وفق مؤشر الزمن لتكون كما يلي: "فترة طلاق قصيرة" و"فترة طلاق طويلة"، وقد وضعنا الجدول التالي من أجل معرفة أثر الفترة الزمنية لحدوث الطلاق على واقع الأبناء، والذي يمكننا من قراءة تمثلاتهم حول واقع طلاق والديهم، حيث يحصي الجدول مبحوثي الدراسة وفترة الطلاق.

الجدول (02): يبين خصوصية المبحوثين من حيث فترة طلاق (*أسماء مستعارة)

المبحوثين	الجنس	السن	المستوى الدراسي	المدة الزمنية للطلاق
"رباب"	أنثى	9 سنوات	الخامسة ابتدائي	فترة طلاق قصيرة
"سعاد"	أنثى	15 سنة	الرابعة متوسط	فترة طلاق قصيرة
"آدم"	ذكر	5 سنوات	الأولى ابتدائي	فترة طلاق طويلة
"أمال"	أنثى	16 سنة	الأولى ثانوي	فترة طلاق طويلة

المصدر: يتضمن الجدول ملخص المعطيات المتحصل عليها من أفراد الدراسة التي تمّ العمل معهم.

3.3- أدوات الدراسة: لقد تم اعتماد المنهج الإكلينيكي الوصفي كأحد مناهج هذه الدراسة، والذي يعتمد على مجموع من التقنيات التي تساهم في جمع المعلومات حول حالات الدراسة. **الملاحظة** هي عملية نظامية ومنهجية لمراقبة ورصد سلوكيات حالات الدراسة خلال الجلسة العيادية أو في بيئة محددة.

بينما **المقابلة العيادية** هي عملية تفاعلية بين الباحث النفسي المتمرس والحالة أو العميل، حيث يتم التحدث والاستماع لفهم القضايا الصحية أو النفسية. **بروتوكول استمارة المقابلة** هو إطار منهجي يُستخدم في جمع المعلومات والبيانات خلال جلسات المقابلات. يتضمن البروتوكول مجموعة من الأسئلة المصممة والمنظمة والمهيكلت بعناية تفاعلية للحصول على معلومات محددة ومفيدة لهدف الدراسة، يتم تصميمها من خلال مقابلات أولية ومن خلال الأدبيات التي تصب في نفس الموضوع.

4- نتائج الدراسة:

يظهر من خلال سردنا لهذا المعاش النفسي عنصر التفرد، فكل حالة وخصائصها بفروقها الفردية، وكل فرد منهم لديه معاش نفسي مختلف عن الآخر، ولكنهم يتشاركون في انفصال الوالدين. يتضح من خلال معطيات المبحوثة "رباب" التي حدث طلاق والديها بخصوصية طلاق قريب المدى رافضة لانفصالهما ولا تزال تطمح إلى رجوعهما إلى بعض. "رباب" رافضة تماماً طلاق والديها وهي تصرح بذلك، مما انعكس على سلوكياتها حيث ظهر لديها التبول اللاإرادي الثانوي وهي تعتبر حالة نكوص لرفض الواقع، الخروج من البيت إلا بمرافق، هذا مردّه إلى انعدام الشعور بالأمن، فهي لم تعلن عن

انفصال والديها لزميلاتها حتى المقربات لها، فهو يفسر بالخجل من البوح خوفاً من ردة فعلهنّ، لنخلص إلى محتوى تمثلاتها عن الخوف من ردة فعل الآخر لتجنب الوصم والعار. وفي حالة المبحوثة "سعاد"، الذي كان انفصال والديها منذ سنة أي طلاق قريب المدى، تُظهر حالة أعراض اكتئابية، تتمثل في الانطواء والعزلة وأفكار وسواسية، ارق جراء معاناتها قبل الطلاق وبعده، كونها لا زالت تعوض انفصال والديها بالاهتمام بمظهرها كآلية دفاعية تتمثل في التشكل الضدي² واعتزالها أقرانها، كلها سلوكيات تظهر تمثلاتها عن الطلاق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى خوفاً من الوصم خصوصاً بسبب الطلاق المزعوم وهو الخيانة الزوجية أي ما يمس الشرف. كما أشار (Goffman، 1963) وغيره إلى العلاقة الدونية التي تجرد الفرد من أهلية القبول الاجتماعي الكامل، بصفة أساسية على المشاكل الناجمة عن وصم الأفراد والجماعات، وعلى آليات التكيف التي يستخدمونها لمجابهة هذه المشاكل. (ال دراوشة، 2010، ص 13)

كما يضيف ر. شرقي 2018 أنّ الذين يتصفون بالوصم، يعتبرون "أنهم يمارسون سلوكاً غير سوي"، ما يميزهم على أنهم أشخاص منحرفون، وسيئو الخلق أو مختلفون...الضرورة تتطلب من أفراد المجتمع تجنبهم والابتعاد عنهم وخاصة في الأماكن العامة (172). إذن تعاني "سعاد" الأمرين، لعيشها صراع نفسي بين قلق الانفصال، أي الطلاق، وقلق الوصم والعار، فنرجع ظهور الأعراض الاكتئابية إلى هذا المعاش القاسي المرتبط بصدمات متكررة متعلقة بوالديها التي تكنّ لهما مشاعر الحب والإخلاص. فالعيش في بيئة مليئة بالصراع تؤدي إلى الانفصال غير الودي، جعلت "سعاد" تبني أفكاراً سلبية حول الارتباط مستقبلاً.

ويعتبر المبحوث "آدم" أصغر المبحوثين الذي كان ينتقل بين والديه أي في كل مرة يعيش قلق التفرقة من جديد (الفراق عن الأم عندما يكون مع الأب والفراق عن الأب عندما يكون مع الأم) يعيش في كل مرة أم بدون أب وأب بدون أم، هذا يحتمّ عليه العيش في صراع وقلق التفرقة عن موضوع حبه، ذلك تجسد في سلوكيات انفعالية، كرفضه لمفارقة أمه والتشبث بها وبكائه المستمر والشديد عند ذهابه إلى المدرسة رافضاً لفراق أمه، رغم أنّ في هذا السن الطفل يذهب إلى المدرسة، أين يتعود على فراق أمه هنا "آدم" يقوم بتثبيت قلق التفرقة أي فراق غير آمن.

كما أنّ المدرسة كمحيط معزز للأدوار الاجتماعية، وهذا من خلال مشاهدة أقرانه مع آبائهم مما يدخل الطفل في مقارنة تكون لديه إدراكاً عن حالته الصراعية التي لا يفقهها جيداً، إلا أنّه لاحظ بأنّه لا يشبه أقرانه، هذا ما يكون لديه تمثلات عن حالته الوالدية الاجتماعية، ومن جهة أخرى أبناء عمومته الذين هم من أقرانه والذين يكبرونه ببضعة سنوات، يتقوّهون بخبر ارتباط أمه برجل آخر غير أبيه قاصدين بذلك إزعاجه، ف"آدم" بهذه الوضعية يعيش حالة تناقض وجداني جراء صراعاته المستمرة.

2 - تشكل الضدي (formation réactionnelle)، تعتبر آلية دفاعية يستعملها الشخص تعبيراً عن عكس ما يحس به لحمايته من الرفض أو عدم التقبل.

هنا "آدم" يثبت تماثلته بعدم تشبهه بأقرانه، محاولاً حسب بنيته الفكرية أن يدافع عن مكانة والده، بذلك الطفل يعيش قلق الانفصال كتمثل مؤكد بأثر الوصم الناتج من الأقران والأقارب، يفسر رفض وإنكار لواقع غير مرغوب.

أما المبحوثة "أمال"، كان طلاق والديها منذ عشر سنوات، يعتبر طلاق بعيد المدى، فهي لا تتذكر انفصال والديها كونها كانت صغيرة ومع دخولها في مرحلة المراهقة، بدأت تلوم أمها عن قرار الطلاق بقولها: "أنت السبب كوني يتيمة بدون أب" أصبحت معارضة وتمرّدة لكل ما تقوله أو تفعله الأم، وبحثاً عن العاطفة وتعويض الحرمان الأبوي تعلقت بأستاذتها تعويضاً للصورة الأبوية التي تغتقدها، مبيّنة عقدة النقص التي تعيشها، تخجل من وضعها أمام أقرانها حتى أنها تفضل القول "أنا يتيمة الأب" عوض الإدلاء بأنها ابنة لوالدين مطلّقين، كاستثارة للشفقة من الآخر، كفاءة ثانوية على أنها ضعيفة وتحتاج الرعاية، يمكن أن يكون هذا متوارثاً عبر الثقافات لأن بمدينة بواغادوغو (Ouagadougou) (بوركيينا فاصو) الأيتام، عكس أبناء المطلّقين، يجلبون الاهتمام والرعاية من جمعيات ومنظمات غير حكومية³. فتمثلات "أمال" حول الانفصال مشوهة بين الرفض والقبول، أي رفض الأم كونها هي السبب في حالة يتمها، وفي نفس الوقت استغلال هذا اليتيم مع أقرانها وأهلها، كآلية دفاعية لحمايتها، بمعنى السعي لجلب الشفقة من الآخرين لتغطي وتحتمي من الكلام المؤلم أي الحماية من الوصم وهذا ما أكدّه Howard 1963Bake عن الوصم، أنه عملية ترتكز أساساً على التأثيرات المهمة التي يحدثها إلصاق صفة الانحراف بأفراد معينين. (خريطة، 2020، ص 220).

5- مناقشة نتائج الدراسة:

بالعودة إلى تحليل هذه الحالات الأربعة، ووضعيتهم الخاصة والمرتبطة بانفصال آباءهم، والآثار النفسية والمعنوية الحاصلة جراء ذلك، واختلاف الفترة الزمنية المتباينة بين فترة طلاق قصيرة وفترة طلاق طويلة، باعتبارهما مؤشرين تم اعتمادهما لتوضيح ما مدى تأثير عامل الزمن في التكيف للواقع المفروض المرتبط بطلاق الأولياء. وعليه، وبناءً على وضعية المبحوثتين "رياب" و"سعاد" والتي عاشتا طلاقاً منذ فترة قصيرة، فقد عكست تماثلتهما الخجل والرفض لوضعية الطلاق، وبدا ذلك واضحاً من خلال أعراض سلوكية تعبيرية وغير تعبيرية، كعدم التصريح عن حالتها الاجتماعية لأقرانها كنوع من الحماية من ردة فعل الآخرين، وتوقي الحكم عليهما، وتقادياً للوصم والعار. أما بخصوص المبحوثين "آدم" و"أمال" اللذين عاشا طلاقاً منذ فترة طويلة، نجد أنّ "آدم" يُعبّر عن رفضه لوضعية انفصال والديه، بإظهار سلوكيات انفعالية خاصة بقلق التفرقة النابعة من المقارنة بأقرانه، ناهيك عن أثر الوصم الذي تسبّب له به أقرانه من الأهل، كونه عاش تناقضاً وجدانياً بين الأم والأب. كلها أعراض تدلّ بوضوح عن تماثلته المعبرة عن

³ -Mieux vaut être orphelin qu'enfant de parents divorcés : Ethnographier la stigmatisation des enfants "des divorcés" et "des séparés" dans la prise en charge des OEV à Ouagadougou. <http://uaps2019.popconf.org> > uploads

الخوف والقلق من وضعيته اتجاه طلاق والديه . وفيما يخص "أمال"، ورغم المدة الزمنية التي مرّت على واقعة طلاق والديها، إلاّ أنّها لا زالت تحمل مسؤولية كونها يتيمة الأب لوالدتها، وقد تُرجمت سلوكياتها من خلال أعراضها الاضطرابية التي ظهرت في صورة العند، والمعارضة كنوع من العقاب، مع بحثها عن الحنان والمكانة الأبوية من خلال التعلّق بأستاذها تعويضاً عن الصورة الأبوية الحاوية والحامية. في نفس الوقت استغلال وضعيتها كبنت لوالدين مطلّقين من خلال التصريح: "أنا يتيمة الأب"، كفائدة ثانوية وحماية لا شعورية من الوصم.

رغم الفروق من حيث شكل الطلاق والفترة الزمنية لما بعد الطلاق بين "فترة طلاق قصيرة" و"فترة طلاق طويلة"، إلاّ أنّ تمثّلات جميع الحالات حول الطلاق تؤكد على أنّه يُسبب الكثير من الأسى والآلام النفسية، من صراعات، وإحباط، إضافة إلى الشّعور بالخل وال خوف من حكم الآخر، مع عيش تناقض وجداني بين الرّفص والقبول، زد على ذلك عقدة النقص التي تظهر من خلال الإنكار نقادياً للوصم.

وعليه، فإنّ مؤشراً طول الفترة الزمنية بعد الطلاق أو قصرها لا يعكسان اختلافا جوهرياً، بل إنّ الطلاق في حدّ ذاته يتسبب حتماً في ظهور عدّة سلوكيات وانفعالات تشوّه نموّ المبحوثين النفسي والاجتماعي حسب ما تبين لنا، بسبب حالة التفرقة من جهة، ومجابهة الوصم من جهة أخرى، دون أن ننسى أنّ معاناتهم بدأت قبل ذلك، أي قبل حدوث الطلاق، كونهم عاشوا حياة مضطربة مليئة بالصراعات القائمة بين أوليائهم، فالأطفال هم من يتأثرون بصفة عميقة ودائمة بسبب هذه التجربة الحياتية التي لا تولي لهم أيّ اعتبار ولا تحفظ لهم كرامتهم أو توفر لهم الإحساس بالأمان علماً أنّ أولوية توفير ذلك كلّها منوط بأسرهم التي يقع عليها واجب توفير مناعة وقائية لأطفالهم (Tournier, 2012, p. 15) إذ من المفروض أنّ هذه الوقاية تخضع لحتميّة الاحتواء الوالدي من أجل حمايتهم نفسياً ومعنوياً.

4-الخلاصة:

يساهم هذا المقال في تقديم قراءة حول تمثّلات الأبناء فيما يخص طلاق آبائهم، إذ عرضنا وضعيتين تختلف من حيث الفترة الزمنية لما بعد الطلاق، بين "فترة طلاق قصيرة" و"فترة طلاق طويلة"، ولاحظنا أنّه لم يثبت أيّ اختلاف في نوعية ردّ فعل الأبناء ورفضهم لوضعية طلاق آبائهم، وهي النتيجة التي سجّلناها بتقرّبنا منهم، كشف تحليل وتفسير وضعياتهم المعاشة وما عبّروا عنه من هواجس داخلية عن حجم المعاناة النفسية الناتجة عن آثار الطلاق، بما فيها أثر الوصم معاش لوضعية محتمّة عليهم، ولم يختاروها أو يبدوا رأياً فيها، ومنه وجب أن نركّز على دور المرافقة النفسية أثناء وبعد الطلاق من أجل نقادي اضطرابات سلوكية محتملة الوقوع، تؤثر سلباً على أفراد العائلة. علماً أنّه كلما تأثّر فرد بصدمة ما، فإنّه بالضرورة يؤثر حتماً على باقي الأفراد بفعل التقمص وتداعيات النسق الأسري، فالعائلة تتألم بنفس الشدّة كون كلّ فرد يحمل بذاته علامة نفسية جماعية (Delage, Cyrulnik, 2010, p.66) وبإثارة هذا المشكل النفسي الاجتماعي نطمح إلى التفات مؤسسات الوصاية والجهات المعنية للتكفل بهذه الشريحة، والإسراع في اتّخاذ إجراءات تحمي وتعالج هذه الأطفال من تبعات الصراع بين الأزواج ووصمة الطلاق.

- الإحالات والمراجع :

- Anzieu, D. (1999) Le groupe et l'inconscient. Ed 3em. Paris, Dunod.
- Boucebci, M. (1976, 1978) Psychiatrie société et développement. Alger SNED
- Chimama R ; Vandermersch B.(2009). Dictionnaire de la psychanalyse. France. La rousse.10
- Claude Martin, Les effets du divorce et du non-divorce sur les enfants Synthèse élaborée par Patricia Devaux-Spatarakis, Isabelle Juès Dans Tiers 2015/1 (N° 12), pages 51 à 67. <https://www.cairn.info/revue-tiers-2015-1-page-51.htm>
- Commaille J. L'évolution de la divortialité et le statut de l'enfant. Enfance Année 1981 (34-1-2) pp.23-41. https://www.persee.fr/doc/enfan_0013-7545_1981_num_34_1_2745
- Delage, M, Cyrulnik, B. (2010) Famille et résilience. Paris . ODILE Jacob .
- Fortin, G. (2020) Les relations entre l'auto-stigmatisation, l'estime de soi, l'auto-efficacité et le rétablissement chez les personnes ayant des troubles mentaux. Mémoire Université du Québec à Chicoutimi..
- Moscovici, S. (1984) Psychologie sociale, Paris, Presses universitaires de France.
- Moulai, L., & Moulaoui, K. (2014/2015). Les représentations parentales chez les enfants de parents divorcés: Étude de quatre cas (Mémoire de Master). Université Abderrahmane Mira Bejaia.
- Moutassem-Mimouni, B. (, 2001) naissances et abandons en Algérie. Paris, Karthala.
- Moutassem-Mimouni, B. (, 2018) La kafala au Maghreb et en contexte migratoire. Alger. OPU.
- Moutassem-Mimouni, B. (1999) Devenir adulte des enfants abandonnés à la naissance en Algérie. Doct d'Etat, U. Oran.
- Pina, L.(2005) Représentations sociales et communication. Dans Hermès, La Revue 2005/1 (n° 41), pages 59 à 64 .<https://www.cairn.info/revue-hermes-la-revue-2005-1-page-59.htm>
- Tournier, J.L. (2012) L'enfant exposé à la violence conjugale. Bruxelles. Groupe De Boeck.
- أبو زيدم (2003) المعجم في علم الإجرام والاجتماع القانوني والعقاب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة.
- بلخماس يمينه، زروالي لطيفة، 2020، الاكتئاب الارتكاسي الناتج عن طلاق الوالدين -دراسة حالة- مجلة العلوم النفسية- والتربوية. 5(4) جامعة الوادي، الجزائر. 168 - 179 .
- بن زين هـ. وعاقف د. (2022) التدخل عيادي النفساني الخبير في القضاء الجزائري (قضايا شؤون الأسرة). إشراف : بدرة معتصم- ميموني. جامعة وهران.

- خرياطة خ. (2020) المجتمع ، العائلة والموصوم اجتماعيا بالإجرام في الجزائر إنتاج أم عدم إنتاج؟مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد: 1121 – 2170 (04) 2020.
- السويسى، ك. (2016). التمثلات الاجتماعية: مقارنة لدارسة السلوك والمواقف والاتجاهات وفهم آليات الهوية. المجلة العربية لعلم النفس،-(1)-47-57.
- شرقي ر. (2018) الوصم الاجتماعي للمرأة المطلقة. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد 32 .
- عبد الله الدراوشة س. (2010) . المعرفة والوصم الاجتماعي واتجاهات طلبة الجامعات الأردنية نحو المصابين بمرض الايدز. أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة مؤتة، علم الاجتماع تخصص علم الجريمة، الأردن.
- قانون الأسرة 84-11(2005) ، ط 4 ، الديوان الوطني للأشغال التربوية. الجزائر.
- قانون الأسرة في ضوء الممارسة القضائية (2018)، طبعة 2019/2018. الجزائر.
- كسال مسعودة، 2021، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية 13 (04)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر .
- لوشاحي فريدة (2015) طلاق الوالدين والاستجابات النفسية للطفل مجلة دفاتر العدد 03 جامعة بسكرة.
- محمد بن أحمد، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم النفس و الأرطفونيا
- مرحوم ن.(2013) تمثلات الآباء وتقدير الذات لدى المراهقين المودعين تحت الرقابة القضائية. رسالة ماجستير، جامعة وهران 2 . الجزائر .
- معتمصم-ميموني بدر (2005). الاضطرابات النفسية والعقلية عند الطفل والمراهق. ط2. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية.
- مقدم خديجة.(2019). السلوك الجانح لمراهقين موضوعين بمراكز إعادة التربية: قراءة في مسارات مدرسية. مجلة إنسانيات، جنوح الأحداث: الواقع والتكفل، 13-33. وهران. الجزائر.